سورة المعارج

مكية، وآياتها أربع وأربعون [نزلت بعد الحاقة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا، فعدّي تعديته، كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا. إذا استدعى وطلبه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الدخان: ٥٥] وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: هو النضر بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وقيل: هو رسول اللّه ﷺ، استعجل بعذاب للكافرين. وقرئ: سال سائل، وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش، يقولون: سلت تسال، وهما يتسايلان؛ وأن يكون من السيلان. ويؤيده قراءة ابن عباس «سال سيل»، والسيل: مصدر في معنى السائل، كالغور بمعنى الغائر. والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع؟ فنزلت، وسأل على هذا الوجه مضمن معنى: عنى واهتم فإن قلت: بم يتصل قوله: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قلت: هو على القول الأوّل متصل بعذاب صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، أو بالفعل، أي: دعا للكافرين بعذاب واقع، أو بواقع؛ أي: بعذاب نازل لأجلهم، وعلى الثاني: هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين. فإن قلت: فقوله ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بم يتصل؟ قلت: يتصل بواقع، أي واقع من عنده، أو بدافع؛ بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد جمع معرج، ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو

والارتفاع فقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى/ ٢/ ٢٣٥ب عرشه وحيث تهبط منه أوامره ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ كمقدار مدة ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ مما يعد الناس. والروح. جبريل عليه السلام، أفرده لتميزه بفضله. وقيل: الروح خلق هم حفظة على الملائكة، كما أنّ الملائكة حفظة على الناس. فإن قلت: بم يتعلق قوله ﴿فَٱصْبِرْ﴾؟ قلت: بسأل سائل؛ لأنّ استعجال النصر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ، فأمر بالصبر عليه، وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو، فإنما سأل على طريق التعنت، وكان من كفار مكة. ومن قرأ: سال سائل، أو سيل، فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعه، فاصبر فقد شارفت الانتقام، وقد جعل ﴿فِى يَوْمٍ﴾ من صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم، وهو يوم القيامة: إما أن يكون استطالة له لشدّته على الكفار، وإما لأنه على الحقيقة كذلك. قيل: فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. الضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ للعذاب الواقع، أو ليوم القيامة فيمن علق (في يوم) بواقع؛ أي: يستبعدونه على جهة الإحالة ﴿و﴾ نحن ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر، فالمراد بالبعيد: البعيد من الإمكان، وبالقريب: القريب منه نصب ﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ بقريبًا، أي: يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم. أو بإضمار يقع، لدلالة (واقع) عليه أو يوم تكون السماء كالمهل. كان كيت وكيت. أو هو بدل عن (في يوم) فيمن علقه بواقع ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ كدردي الزيت. وعن ابن مسعود: كالفضة المذابة في تلوّنها ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو: أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ أي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه، لأن بكل أحد ما يشغله عن المساءلة ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يبصر الأحماء الأحماء، فلا يخفون عليهم[1]، فما يمنعهم من المساءلة أنّ بعضهم لا يبصر بعضًا، وإنما يمنعهم التشاغل: وقرئ: «يبصرونهم» وقرئ: ولا يسأل، على البناء للمفعول، أي: لا يقال لحميم أين حميمك؟ ولا يطلب منه؛ لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب. فإن قلت: ما موقع يبصرونهم؟ قلت: هو كلام مستأنف، كأنه لما قال ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ قيل: لعله لا يبصره، فقيل: يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم. فإن قلت: لم جمع الضميران في ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ وهما للحميمين؟ قلت: المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين. ويجوز أن يكون

---

(١) قال محمود: «معناه يبصر الأصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم... إلخ» قال أحمد: وفيه دليل على أن الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعم، كما التزم في: والله لا أشرب ماء من إداوة: أنه عام في المياه والأدوات، خلافًا لبعضهم في الأدوات.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ صفة، أي: حميمًا مبصرين معرّفين إياهم. قرئ: «يومئذ» بالجرّ والفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن، ومن عذاب يومئذ، بتنوين (عذاب) ونصب ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ وانتصابه بعذاب. لأنه في معنى تعذيب ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم ﴿تُئْوِيهِ﴾ تضمه انتماء إليها، أو لياذًا بها في النوائب. ﴿يُنجِيهِ﴾ عطف على يفتدي، أي: يودّ لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء. أو من في الأرض. وثم: لاستبعاد الإنجاء، يعني: تمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه ﴿كَلَّآ﴾ ردّ للمجرم عن الودادة، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا﴾ والضمير للنار، ولم يجر لها ذكر؛ لأنّ ذكر العذاب دل عليها. ويجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصة. و﴿لَظَىٰ﴾ علم للنار، منقول من اللظى: بمعنى اللهب. ويجوز أن يراد اللهب. و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبر بعد خبر لأنّ أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة، أو صفة له إن أردت اللهب، والتأنيث لأنه في معنى النار. أو رفع على التهويل، أي: هي نزاعة. وقرئ: نزاعة، بالنصب على الحال المؤكدة، أو على أنها متلظية نزاعة؛ أو على الاختصاص للتهويل. والشوى: الأطراف أو جمع شواة: وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتبتكها[1]؟ ثم تعاد ﴿تَدْعُواْ﴾ مجاز عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتحضرهم. ونحوه قول ذي الرمّة [من البسيط]:

.... تَـدْعُـو أَنْـفَـهُ الـرِّبَـبُ[2]

وقوله [من البسيط]:

لَيَالِي اللَّهْوِ يُطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ ....[3]

وقول أبي النجم [من الرجز]:

---

(١) قوله: «فتبتكها» أي: تقطعها. (ع)

(٢) أمسى بوهبين مجتازًا لمرتعه — من ذي الفوارس تدعو أنفه الربب

لذي الرمة يصف ثورًا وحشيًا. ووهبين: اسم موضع، وكذلك ذو الفوارس. والربب ـ بموحدتين ـ: جمع ربة وهي أول ما ينبت من الكلأ. والدعاء: الطلب، وهو هنا مجاز عن التسبب في الأمر؛ لأن النبات الصغير سبب في وصول أنفه للأرض، ليرعاه، ويجوز تشبيه الربب بالداعي، والدعاء تخييل، ثم يحتمل أن مرتعه من ذي الفوارس ويحتمل أنه سار من ذي الفوارس إلى وهبين. ويروى: مختارًا، أي: متخيرًا ومتطلبًا خير المراتع.

ينظر: في ديوانه ص ٧٧، ولسان العرب (ربب)، (فرس)، (دعا)، (كرا)، وأساس البلاغة (دعو)، وكتاب الجيم ١/٣٠٤، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٤، وتهذيب اللغة ٣/١٢١، ١٠/٣٤٤، ١٥/١٨٢، وتاج العروس (ربب)، (فرس).

(٣) تقدم.

obeikandi.com

تَـقُـولُ لِـلـرَّائِـدِ أَعْـشَـبْـتَ انْـزِلِ[١]

وقيل: تقول لهم: إليّ إليّ يا كافر يا منافق. وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب، فيجوز أن يخلق الله فيها كلامًا كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم، وكما خلقه في الشجرة[٢] ويجوز أن يكون دعاء الزبانية. وقيل:/ ٢/ ٢٣٦أ تدعو تهلك، من قول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك. قال [من الوافر]:

دَعَـاكَ الـلّٰـهُ مِـنْ رَجُـلٍ بِـأَفْـعَـى ....[٣]

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عنه ﴿وَجَمَعَ﴾ المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤدّ الزكاة والحقوق الواجبة فيه، وتشاغل به عن الدين؛ وزهى باقتنائه وتكبر.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «وكما خلقه في الشجرة» على زعم المعتزلة أنه تكليم الله موسى، كأنه كذلك. وعند أهل السنة أنه أطلعه على كلامه القديم القائم بذاته تعالى. (ع)

(٣) دعـاك الله مـن رجـل بـأفـعـى ... ضـئـيـل تـنـفـث الـسـم الـذعـافـا

دعاك، أي: أهلكك الله بأفعى؛ يقال: دعاه الله بالمكروه: أنزله به، ومن رجل: بيان واقع موقع الحال؛ أو تمييز مقترن بمن. لأن ما قبله فيه معنى التعجب، فيحتاج لتمييز جهة التعجب. وقال بعض النحاة: قد يجيء التمييز لمجرد التوكيد، فيكون هذا منه؛ بأفعى بالتنوين: اسم الحية. وقيل ممنوع من الصرف، لأنه صفة للحية الشديد السم، والذعاف: أي الشديد القاتل؛ ضئيل: ضعيفة مهزولة. والنفث: إخراج النفس مع بلل، وهو هنا إخراج السم الذعاف كغراب: المسرع للقتل. ويحتمل أن «دعاك الله» من باب المجاز، كأن الله دعا له لقتله بالأفعى. أو طلبه بأفعى أرسلها إليه لتحضره بإهلاكه. وخص المهزولة لأنها أشد إيذاء من غيرها، وقال ضئيل، مع أن موصوفه مؤنث على حد: إن رحمة الله قريب، والمذكر: أفعوان. ويروى «ينفث» على أن الأفعى واحد من الجنس فهو مذكر.

وهو لأبي النجم في تهذيب اللغة ٣/ ١٢٣، وبلا نسبة في لسان العرب (قيس)، (دعا)، وكتاب العين ٢/ ٢٢١، ومجمل اللغة ٢/ ٢٧٢، وأساس البلاغة (دعو)، وتاج العروس (قيس)، (دعا)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨٠.

أريد بالإنسان الناس؛ فلذلك استثنى منه إلا المصلين. والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير، من قولهم: ناقة هلواع سريعة السير. وعن أحمد بن يحيى، قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. والخير: المال والغنى؛ والشرّ: الفقر. أو الصحة والمرض: إذا صحّ الغني منع المعروف وشحّ بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي. والمعنى: أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه، كأنه مجبول عليهما مطبوع[1]، وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري، كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع، ولأنه ذمّ والله لا يذمّ فعله، والدليل عليه: استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلّفوها عن الشهوات[2]، حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين. وعن النبي ﷺ. «شرّ ما أعطي ابن آدم شحّ هالع وجبن خالع» (١٦٥٤) فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾

١٦٥٤ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٢) كتاب الجهاد باب في الجرأة والجبن حديث (٢٥١١) وأحمد (٢/ ٣٢٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٨ ـ ٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٠) وابن حبان (٨٠٨ ـ موارد) والبيهقي (٩/ ١٧٠) كتاب السير: باب الشجاعة والجبن، وفي «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٤) رقم (١٠٨٣١) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٤١٧ ـ ٤١٨) رقم (١٤٢٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٧٠) رقم (١٣٣٨) كلهم من طريق عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة مرفوعًا والحديث صححه ابن حبان.
وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ٨٩): قال ابن طاهر: إسناده متصل وهو من شرط أبي داود وقد احتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة اهـ. وقال العلامة الغماري في «فتح الوهاب» (٢/ ٣٢٨) وإسناده جيد متصل كما قال ابن طاهر والعراقي.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أبو داود وابن حبان وأحمد وإسحاق والبزار كلهم من طريق عبد العزيز بن مروان: سمعت أبا هريرة بهذا لكن قال «شر ما في الرجل» انتهى.

---

(١) قال محمود: «المعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع ورسوبهما فيه كأنه... إلخ» قال أحمد: هو يشرك باطنًا وينزه ظاهرًا، فينفي كون الهلع الذي هو موجود للآدمي مخلوقًا لله تعالى تنزيهًا له عن ذلك، ويثبت خالقًا مع الله، ويتغافل عن اقتضاء نظم الآية لذلك، فإنك إذا قلت: بريت القلم رقيقًا، فقد نسبت إليك الحال وهو ترقيقه، كما نسب إليك البري، وكذلك الآية. وأما قوله: والله لا يذم خلقه؛ فالله تعالى له الحمد على كل حال؛ وإنما المذموم العبد بحجة أنه جعل فيه اختيارًا يفرق بالضرورة بين الاختياريات والقسريات ألا لله الحجة البالغة والله أعلم.

(٢) قوله: «وظلفوها عن الشهوات» في الصحاح: ظلف نفسه عن الشيء، أي: منعها من أن تفعله أو تأتيه. (ع)

ثم على صلاتهم يحافظون؟ قلت: معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبي ﷺ. «أفضل العمل أدومه وإن قلّ» (١٦٥٥) وقول عائشة: كان عمله ديمة (١٦٥٦). ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسنتها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط[1] باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة، لأنها مقدرة معلومة؛ أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة. السائل: الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم ﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تصديقًا بأعمالهم واستعدادهم له، ويشفقون من عذاب ربهم، واعترض بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه. وينبغي أن يكون مترجحًا بين الخوف والرجاء. قرئ: «بشهادتهم» «وبشهاداتهم» والشهادة من جملة الأمانات. وخصها من بينها إبانة لفضلها، لأنّ في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها. وفي زيها: تضييعها وإبطالها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا

١٦٥٥ ـ أخرجه البخاري (١٣/٨٣) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل حديث (٦٤٦٢) ومسلم (٣/٣٢٨ ـ نووي) كتاب صلاة المسافرين: باب فضيلة العمل الدائم حديث (٢١٥، ٢١٦/ ٨٨٢) من حديث عائشة.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عائشة. انتهى.

١٦٥٦ ـ أخرجه البخاري (٤/٧٥٩) كتاب الصوم باب هل يخص شيئًا من الأيام حديث (١٩٨٧) وفي (١٣/٨٣) كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل حديث (٦٤٦٦) ومسلم (٣/٣٢٩ ـ نووي) كتاب صلاة المسافرين: باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره حديث (٢١٧/٧٨٣) وأبو داود (٢/٤٨) كتاب الصلاة: باب ما يؤمر به في القصد في الصلاة حديث (١٣٧٠).
والترمذي في الشمائل رقم (٣٠٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٢/٢٤٥) وأحمد (٦/٤٣، ١٨٩) وفي الزهد (ص ٨) وابن حبان (٣٢٢) كلهم من طريق منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عائشة به.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديثها رضي الله عنها. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي لا يتركونها في وقت ولا يحبطونها... إلخ» قال أحمد: حفظها من الإحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة، فلا يحبط ما سواه خلافًا للقدرية، وقد تقدمت أمثاله والله أعلم.

لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا، يستمعون ويستهزؤون بكلامه. ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم، فنزلت ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك، ماذي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك ﴿عِزِينَ﴾ فرقا شتى جمع عزة، وأصلها عزوة، كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى: فهم مفترقون. قال الكميت [من الوافر]:

وَنَحْنُ وَجَنْدَلٌ بَاغٍ تَرَكْنَا كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينَا[1]

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهط ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إلى آخر السورة، وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنه قال: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء؛ فمن أين/ ٢/ ٢٣٦ب يطمعون في دخول الجنة؟ فإن قلت: من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث؟ قلت: من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي من النطف، وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسًا خيرًا منهم، وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء، والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة. ويجوز أن يراد: إنا خلقناهم مما يعلمون، أي: من النطفة المذرة، وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه. ولذلك أبهم وأخفى: إشعارًا بأنه منصب يستحيا من ذكره، فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون: لندخلن الجنة قبلهم. وقيل: معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح، فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل. وقرئ: برب المشرق والمغرب، ويخرجون. ويخرجون ومن الأجداث سراعًا، بالإظهار والإدغام. ونصب، ونصب: وهو كل ما نصب فعبد من دون الله ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم.

---

(١) الكتائب: جمع كتيبة وهي الجماعة. وشتى: جمع شتيت، كمرضى ومريض. وعزين: جمع عزة، أصلها عزو، فعوضت التاء عن الواو، من عزاه إلى كذا، أي: نسبه إليه؛ لأن بعضها ينتسب إلى بعض. أو لأنها تنتسب إلى رئيسها. أو إلى أصلها الأعلى، وهذا كناية عن قتله مع كثرة جيشه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» (١٦٥٧).

١٦٥٧ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن سورة الموضوع على رسول الله ﷺ، قبح الله الوضاعين.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أُبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com